لمحة

عن الفرق الضالة

نص محاضرة ألقاها الشيخ صالح الفوزان

بمدينة الطائف يوم الاثنين الموافق ١٤١٥/٣/٣هـ

في مسجد الملك فهد بالطائف

المقدمة

أهمية الحديث عن الفرق

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الحديث عن الفرق ليس هو من باب السرد التاريخي ، الذي يقصد منه الاطلاع على أصول الفرق لمجرد الاطلاع ، كما يطلع على الحوادث التاريخية ، والوقائع التاريخية السابقة ، وإنما الحديث عن الفرق له شأن أعظم من ذلك ؛ ألا وهو الحذر من شر هذه الفرق ومن محدثاتها ، والحث على لزوم فرقة أهل السنة والجماعة .

وترك ما عليه الفرق المخالفة لا يحصل عفوا للإنسان ، لا يحصل إلا بعد الدراسة ، ومعرفة ما الفرقة الناجية ؟

من هم أهل السنة والجماعة ، الذين يجب على المسلم أن يكون معهم ؟

ومن الفرق المخالفة ؟

وما مذاهبهم وشبهاتهم ؟ حتى يحذر منها .

لأن من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه ، كما قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : ﴿ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال : " نعم " . فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال " نعم ، وفيه دخن " . قلت : وما دخنه ؟ قال : " قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر " . فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : " نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها " . فقلت : يا رسول الله ، صفهم لنا . قال : " نعم ، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا " . قلت : يا رسول الله ، فما ترى إن أدركني ذلك ؟

قال : " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " فقلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : " فاعتزل تلك الفرق ، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك " ﴾ [1] [2] .

فمعرفة الفرق ومذاهبها وشبهاتها ، ومعرفة الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - وما هي عليه ، فيه خير كثير للمسلم ؛ لأن هذه الفرق الضالة عندها شبهات ، وعندها مغريات تضليل ، فقد يغتر الجاهل بهذه الدعايات وينخدع بها ؛ فينتمي إليها ، كما قال ﷺ لما ذكر في حديث حذيفة :

﴿ هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : " نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها " . فقلت : يا رسول الله ، صفهم لنا . قال : " نعم ، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا " ﴾ [3] .

فالخطر شديد ، وقد وعظ النبي ﷺ أصحابه ذات يوم - كما في حديث العرباض بن سارية - :

---

(١) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٩) ، أحمد (٣٨٧/٥) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : (٣٦٠٦) و (٧٠٨٤) ، ومسلم في صحيحه - أيضا - : (١٨٤٧) ، وأحمد مطولا : (٣٨٦/٥ ، ٤٠٣) ومختصرا : (٣٩١/٥ ، ٣٩٩) ومختصرا بلفظ مختلف : (٤٠٤/٥) ، وأبو داود السجستاني : (٤٢٤٤) ، وبلفظ مختلف : (٤٢٤٦) ، والنسائي في الكبرى : (١٧/٥ ، ١٨) ، وابن ماجه : (٤٠٢٧) و (٤٠٢٩) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده : (٤٤٢) ، وبلفظ مختلف : (٤٤٣) ص ٥٩ ، وأبو عوانة في الصحيح المسند : (٤٧٤/٤ و ٤٧٥) ، وعبد الرزاق في مصنفه : (٢٠٧١١) (٣٤١/١١) ، وابن أبي شيبة في كتاب الفتن : (٢٤٤٩) و (٨٩٦٠) (١٨٩٦١) و (١٨٩٨٠) ، والحاكم في مستدركه (٤٣٢/٤) وصحح إسناده ، ووافقه الذهبي .

(٣) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٩) ، أحمد (٣٨٧/٥) .

أنه وعظهم موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . قلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : ﴿ أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ﴾ [1] [2] .

فأخبر ﷺ أنه سيكون هناك اختلاف وتفرق ، وأوصى عند ذلك بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم ، والتمسك بسنة الرسول ﷺ وترك ما خالفها من الأقوال والأفكار ، والمذاهب المضلة ، فإن هذا طريق النجاة ، وقد أمر الله – سبحانه وتعالى – بالاجتماع والاعتصام بكتابه ، ونهى عن التفرق ، قال – سبحانه – : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [3] .

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) رواه أحمد في مسنده : (١٢٦/٤) ، (١٢٧/٤) ، والترمذي : (٢٦٧٦) ، وأبو داود : (٤٦٠٧) ، وابن ماجه : (٣٤) في المقدمة ، والدارمي في سننه : (٩٥) ، وابن حبان في صحيحه : (٥) ، والطبراني في الكبير : (٦١٧/١٨ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٤٢) ، والآجري في الشريعة ص : (٤٦ - ٤٧) ، وابن أبي عاصم في السنة : (٢٧ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ٥٤) ، وابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى : (١٤٢) (٣٠٥/١) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : (٨١) ، ومحمد بن نصر المروزي في السنة ص : ٢١ ، والبغوي في شرح السنة : (٢٠٥) وفي تفسيره : (٢٠٩/٣) ، والطحاوي في مشكل الآثار : (٦٩/٢) ، والبيهقي : (٥٤١/٦) ، والحاكم في المستدرك : (٩٦/١ - ٩٧) . وصحح الحديث : الترمذي وابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي وغيرهم .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

إلى أن قال – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخۡتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٌۚ ﴾ (١) .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة (٢) .

وقال – سبحانه وتعالى – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمۡ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (٣) .

فالدين واحد ، وهو ما جاء به رسول الله ﷺ لا يقبل الانقسام إلى ديانات وإلى مذاهب مختلفة ، بل دين واحد هو دين الله – سبحانه وتعالى – وهو ما جاء به رسوله ﷺ وترك أمته عليه ، حيث ترك ﷺ أمته على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

وقال ﷺ ﴿ تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا ؛ كتاب الله وسنتي ﴾ (٤) .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١٠٥ – ١٠٦ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره : (٨٧/٢) ، وابن كثير : (٨٧/٢) طبعة الأندلس .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(٤) رواه مالك في الموطأ : (١٨٩٩/٢) ، والحاكم في المستدرك : (٩٣/١) موصولا عن أبي هريرة . ورواه مطولا دون لفظة " وسنتي " مسلم : (١٢١٨) ، وابن ماجه : (٣١١٠) ، وأبو داود : (١٩٠٩) من حديث جابر بن عبد الله وفيه صفة حجة النبي وخطبته بهم .

ذم التفرق في الكتاب والسنة ومدح الاجتماع

وما جاء التفرق في الكتاب العزيز إلا مذموما ومتوعدا عليه ، وما جاء الاجتماع على الحق والهدى إلا محمودا وموعودا عليه بالأجر العظيم ، لما فيه من المصالح العاجلة والآجلة .

وجاء عن النبي ﷺ في السنة أحاديث كثيرة تأمر بلزوم الجماعة (١)

---

(١) قال ابن حجر في " الفتح " : (٣٩١/١٣) : (. . . وورد بلزوم الجماعة في عدة أحاديث ، منها : ما أخرجه الترمذي مصححا من حديث الحارث بن الحارث الأشعري فذكر حديثا طويلا وفيه : " وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه " . (رواه مرفوعا الإمام أحمد في مسنده : (١٣٠/٤ ، ٢٠٢/٤ ، ٣٤٤/٥) ، والترمذي (٢٨٦٣ - ٢٨٦٤) وقال : حديث حسن صحيح غريب) . وفي خطبة عمر المشهورة ، التي خطبها بالجابية : " عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد " (رواه مرفوعا الإمام أحمد في مسنده : (١٨/١) ، والترمذي في سننه : (٢١٦٥) ، والنسائي في " الكبرى " : (٩٢١٩) (٩٢٢٦) ، والبغوي في تفسيره : (٨٦/٢) ، وابن أبي عاصم في " السنة " : (٨٦ ـ ٨٨) ، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " : (١٠٦/١ - ١٠٧) ، والحاكم في " مستدركه " : (١١٤/١) وصححه ، ووافقه الذهبي) . وفيه : " ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة " . قال ابن بطال : " مراد الباب الحض على الاعتصام بالجماعة . . . والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر " وقال الكرماني : " مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف المتابعة لما أجمع عليه المجتهدون " . . .) انتهى من فتح الباري . وقال الترمذي في سننه بعد الحديث رقم (٢١٦٧) : (وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم : أهل الفقه ، والعلم ، والحديث) انتهى . ولأهمية هذا الأمر بوب البخاري - رحمه الله - في صحيحه : (باب . . وكذلك جعلناكم أمة وسطا . . وما أمر النبي بلزوم الجماعة ، وهم أهل العلم) . وبوب النووي في صحيح مسلم : (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، وفي كل حال ، وتحريم الخروج على الطاعة ، ومفارقة الجماعة) . وبوب الترمذي في سننه باب ما جاء في لزوم الجماعة . وكذلك بوب الدارمي في سننه بابين فيه ، أولهما في " كتاب السير " : (باب في لزوم الطاعة والجماعة) ، والآخر في " كتاب الرقاق " : (باب في الطاعة ولزوم الجماعة) . وبوب الآجري في " الشريعة " بابين - كذلك - ، الأول : (باب ذكر الأمر بلزوم الجماعة) ، والثاني : (باب ذكر أمر النبي أمته بلزوم الجماعة ، وتحذيره إياهم الفرقة) وغيرهم من أئمة الحديث ثم ساقوا - رحمهم الله - بعد ذلك الأحاديث التي جاءت في ذلك ، ومنها : حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي قال : " من رأي من أميره شيئا يكرهه فليصبر ، فإنه ليس من أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية " . (رواه =

أحمد في مسنده : (١/٢٧٥ ، ٢٩٧ ، ٣١٠) ، والبخاري : (٧٠٥٣) (٧٠٥٤) (٧١٤٣) ، ومسلم : (١٨٤٩) ، والدارمي : (٢٥١٩) ، والبغوي : (٢٤٥٨) ، وابن أبي عاصم في " السنة " : (١١٠١) ، والطبراني في " المعجم الكبير " : (١٢٧٥٩) ، والبيهقي : (٨/١٥٧)) . وعن عوف بن مالك الأشجعي يقول : سمعت رسول الله يقول : " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم " قلنا : أفلا ننابذهم يا رسول الله عند ذلك ؟ قال : " لا . ما أقاموا فيكم الصلاة ، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يدا من طاعة " . (رواه أحمد في مسنده : (٦/٢٤) ، ومسلم : (١٨٥٥) ، والدارمي : (٢٧٩٧) ، وابن أبي عاصم في " السنة " : (١٠١٧) ، والبيهقي : (٨/١٥٨)) . وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله " يد الله مع الجماعة " . (رواه الترمذي : (٢١٦٦)) . وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله قال : " إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار " . (رواه الترمذي : (٢١٦٧)) وعن أبي ذر عن النبي أنه قال : " اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة ، فإن الله لن يجمع أمتي إلا على هدى " (رواه أحمد في " المسند " : (٥/١٤٥)) وعن رجل قال : انتهيت إلى النبي وهو يقول : " أيها الناس عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، أيها الناس عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة " ثلاث مرار . (رواه أحمد في " المسند " : (٥/٣٧١) . ولا تضر جهالة الرجل لأنه صحابي ، والصحابة كلهم عدول بالإجماع ، رضي الله عنهم أجمعين) . وعن معاذ بن جبل أن نبي الله قال : " إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة ، والعامة ، والمسجد " . (رواه أحمد في مسنده : (٥/٢٣٣ ، ٢٤٣)) . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله " الصلاة إلى الصلاة التي قبلها كفارة ، والجمعة إلى الجمعة التي قبلها كفارة ، والشهر –المقصود بالشهر هنا " شهر رمضان " كما في الرواية الأخرى– إلى الشهر الذي قبله كفارة ، إلا من ثلاث – قال : فعرفنا أنه أمر حدث – : إلا من الشرك بالله ، ونكث الصفقة ، وترك السنة . – قال : – أما نكث الصفقة : فأن تعطي رجلا بيعتك ثم تقاتله بسيفك ، وأما ترك السنة : فالخروج من الجماعة " . (رواه أحمد في مسنده : (٢/٢٢٩) ، (٢ /٥٠٦)) ولما في مفارقة الجماعة من مفاسد جمة ، جعل الشارع الحكيم القتل عقوبة لمن فارق الجماعة : فعن عرفجة الأشجعي قال : " رأيت النبي على المنبر يخطب الناس ، فقال : (إنه سيكون بعدي هنات وهنات ، فمن رأيتموه فارق الجماعة ، أو يريد يفرق أمر أمة محمد كائنا من كان فاقتلوه ، فإن يد الله على الجماعة ، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض " . (رواه مسلم : (١٨٥٢) ، وأبو داود : (٤٧٦٢) باب في قتل الخوارج) . ويؤخذ من تبويب أبي داود على هذا الحديث : أن من فارق الجماعة فإنه خارجي . ورواه النسائي : (٤٠٣٢) واللفظ له) . وبوب النسائي عليه في كتاب " تحريم دم المسلم " من سننه " : (باب قتل من فارق الجماعة) . فما بالك بمن فارق الجماعة ، ولحق بأعداء الله المشركين في بلادهم ، يدعي أنه ينصر دين الله بذلك وبما يبثه من منشورات ، ينتقص فيها العلماء ، ويهون فيها من قدر الولاة والأمراء ، ورسول الله يقول : " من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله " . (رواه أبو داود في سننه من =

قال ﷺ ﴿ " إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة " . قالوا ومن هي يا رسول الله ؟ قال : " ما أنا عليه اليوم وأصحابي " ﴾ [(1)] [(2)] .

حديث سمرة بن جندب (٢٧٨٧) . وقال " أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين " قالوا : يا رسول الله ، لم ؟ قال : " لا تراءى نارهما " . (رواه أبو داود : (٢٦٤٥) ، والترمذي : (١٦٠٤)) . قال الفضل بن زياد : سمعت أحمد – رحمه الله تعالى – يُسْأَل عن معنى : " لا تراءى نارهما " فقال : (لا تنزل من المشركين في موضع إذا أوقدت رأوا فيه نارك ، وإذا أوقدوا رأيت فيه نارهم ، ولكن تباعد عنهم) . وقال جرير بن عبد الله البجلي " بايعت رسول الله على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم ، وعلى فراق المشركين " . (رواه الإمام أحمد في مسنده : (٣٦٥/٤) ، والنسائي : (١٤٨/٧) ، والبيهقي : (١٣/٩) . قال الشيخ العلامة : حمود بن عبد الله التويجري – رحمه الله – في كتابه " تحفة الإخوان " ص ٢٧ : (وقد ورد النهي عن مجامعة المشركين ، ومساكنتهم في ديارهم ، والتغليظ في ذلك ، لأن مجامعتهم ومساكنتهم من أعظم الأسباب الجالبة لموالاتهم وموادتهم . والأحاديث في ذلك كثيرة) . ثم ساق الشيخ عدة أحاديث ، ثم قال : (فليتأمل المسلمون الساكنون مع أعداء الله – تعالى – هذه الأحاديث ، وليعطوها حقها من العمل ، فقد قال – تعالى – : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ اهـ . (سورة الزمر) .

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) أخرجه الترمذي : (٢٦٤١) ، واللالكائي في " شرح اعتقاد أهل السنة " : (١٤٧) ، والآجري في " الشريعة " ص ١٥ ، والمروزي في السنة ص ١٨ ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " : (٢٦٤ ، ١٦٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – . وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي : ضعيف . لكن الحديث يصح بشواهده ، ومنها :

١ – حديث أبي هريرة رواه الإمام أحمد في مسنده : (٣٣٢/٢) ، وأبو داود : (٤٥٩٦) ، والترمذي : (٢٦٤٠) ، وابن ماجه : (٣٩٩١) ، والآجري في " الشريعة " ص ٢٥ ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " : (٢٥٢) ، وابن أبي عاصم في " السنة " : (٦٦) ، والحاكم في " مستدركه " : (١٢٨/١) وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي . وصححه ابن حبان : (٢٦١٤) ، ورواه – أيضا – أبو يعلى الموصلي في مسنده : (٥٤١ – ٥٤٢) ، والمروزي في السنة ص ١٧ .

٢ – حديث معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – : رواه أحمد : (١٠٢/٤) ، وأبو داود : (٤٥٩٧) ، وأبو داود الطيالسي : (٢٧٥٤) ، والدارمي : (٢٥٢١) ، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " : (١٥٠) ، وابن أبي عاصم : (١) (٦٥) ، والآجري في " الشريعة " ص ١٨ ، والمروزي في

=

فأخبر ﷺ في هذا الحديث أنه لا بد أن يحصل تفرق في هذه الأمة ، وهو لا ينطق عن الهوى ، لا بد أن يحصل ما أخبر به ﷺ .

وهذا الإخبار منه ﷺ معناه النهي عن التفرق ، والتحذير من التفرق ، ولهذا قال : ﴿ كلها في النار إلا واحدة ﴾ [1] .

ولما سئل عنها ﷺ ما هذه الواحدة الناجية ؟ قال : ﴿ من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [2] .

فمن بقي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ، فهو من الناجين من النار ، ومن اختلف عن ذلك فإنه متوعد بالنار ، على حسب بعده عن الحق ، إن كانت فرقته فرقة

السنة ص ١٤ - ١٥ ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " : (٢٦٦) ، والطبراني في " الكبير " : (١٩/٨٨٤ - ٨٨٥) .

٣ - حديث أنس بن مالك أخرجه أحمد : (٣/١٢٠ ، ١٤٥) ، والآجري في " الشريعة " ص ١٦ ، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " : (١٤٨) ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " : (٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١) ، وابن أبي عاصم في " السنة " : (٧٤) .

٤ - حديث عوف بن مالك رواه ابن ماجه : (٣٩٩٢) ، والبزار : (١٧٢) ، واللالكائي : (١٤٩) ، وابن أبي عاصم في " السنة " : (٦٣) ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " : (٢٧٢) ، والحاكم في " مستدركه " : (٤/٤٣٠) .

٥ - حديث ابن مسعود أخرجه ابن جرير في تفسيره : (٢٧/٢٣٩) ، والطبراني في " الكبير " : (١٠٣٧٥) (١٠٥٣١) ، وابن أبي عاصم : (٧٠ - ٧١) ، والمروزي في السنة ص ١٦ .

٦ - حديث أبي أمامة أخرجه اللالكائي في " شرح اعتقاد أهل السنة " : (١٥١ - ١٥٢) ، والمروزي في السنة ص ١٦ وص ١٧ ، وابن أبي عاصم : (٨٦) ، والطبراني في " الكبير " : (٨٠٣٥ - ٨٠٥١) ، والبيهقي : (٨/٨٨) .

٧ - حديث علي بن أبي طالب رواه المروزي في السنة ص ١٩ ، وابن وضاح ص ٨٥ ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " : (٢٧٤ - ٢٧٥) .

٨ - حديث سعد بن أبي وقاص رواه ابن بطة في " الإبانة الكبرى " : (٢٦٣) (٢٦٦) (٢٦٧) ، والمروزي في السنة ص ١٧ ، والآجري في " الشريعة " ص ١٧ . وفيه : موسى بن عبيدة الربذي : ضعيف .

(١) ابن ماجه الفتن (٣٩٩٣) .

(٢) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

كفر وردة فإنه يكون من أهل النار الخالدين فيها ، وإن كانت فرقته لم تخرجه عن الإيمان . لكن عليه وعيد شديد ، ولا ينجو من هذا الوعيد إلا طائفة واحدة من ثلاث وسبعين ، وهي " الفرقة الناجية " " من كان على مثل ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه " ، هو : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والمنهج السليم والمحجة البيضاء .

هذا هو ما كان عليه الرسول ﷺ ولهذا قال - تعالى - : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (١) . قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (٢) فدل هذا على أنه مطلوب من آخر هذه الأمة أن يتبعوا منهج السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، الذي هو منهج الرسول ﷺ وما جاء به الرسول ﷺ .

أما من خالف منهج السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، فإنه يكون من الضالين ، قال - سبحانه - : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (٣) فمن أطاع الله وأطاع الرسول في أي زمان ومكان ، سواء كان في وقت الرسول ﷺ أو آخر مسلم في الدنيا ، إذا كان على طاعة الله ورسوله ، فإنه يكون مع الفرقة الناجية . . ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (٤) .

أما من تخلف عن هذا المنهج فإنه لن يحصل على هذا الوعد ، ولن يكون مع هؤلاء الرفقة الطيبين ، وإنما يكون مع الذين انحاز إليهم من المخالفين .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(٣) سورة النساء الآيتان : ٦٩ - ٧٠ .

(٤) سورة النساء آية : ٦٩ .

ولهذا ، هذا الدعاء العظيم ، الذي نكرره في صلاتنا ، في كل ركعة في آخر الفاتحة : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ (1) .

هذا دعاء عظيم ، نسأل الله في كل ركعة من صلاتنا ، أن يهدينا لصراط الذين أنعم الله عليهم ، وهو الذي جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وكان عليه أتباعهم إلى يوم القيامة ، وآخرهم محمد ﷺ هو المتبع ، والمطاع ، والمقتدى به -صلى الله عليه وسلم- ؛ لأنه نبي آخر الزمان ، ومنذ بعثه الله إلى أن تقوم الساعة والناس كلهم مأمورون باتباعه ﷺ حتى لو قدر أنه جاء نبي من السابقين فإنه يجب أن يكون متبعا لهذا الرسول ﷺ قال ﷺ ﴿ لو كان موسى حيا بين أظهركم ، ما حل له إلا أن يتبعني ﴾ (2) (3) .

وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ (4) يعني : محمدًا ﷺ ﴿ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ (5) .

---

(1) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .

(2) أحمد (٣/٣٣٨) ، الدارمي المقدمة (٤٣٥) .

(3) رواه أحمد : (٣/٣٣٨ و ٣٨٧) ، والدارمي : (١/١١٥) ، والبزار : (١٢٤) من حديث جابر بن عبد الله . ومدار إسناده على مجالد بن سعيد ، وهو ضعيف . قال شعيب في " السير " : (١٣/٣٢٤) : (لكن الحديث يتقوى بشواهده ، منها : حديث عبد الله بن ثابت : عند أحمد : (٣/٤٧٠ - ٤٧١) . وفي سنده جابر الجعفي ، وهو ضعيف . وحديث عمر : عند أبي يعلى . وفيه : عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي . وحديث عقبة بن عامر : عند الروياني في مسنده : (٩ ، ٥٠ ، ٢) . وفيه : ابن لهيعة . وحديث أبي الدرداء : عند الطبراني في " الكبير ") اهـ . انظر : " مجمع الزوائد " : (١/١٧٣ - ١٧٤) . قال الشيخ حافظ الحكمي في " الجوهرة الفريدة " : وكان بعثته للخلق قاطبة وشرعه شامل لم يعده أحد ولم يسع أحدا عنها الخروج ولو كان النبيون أحياء لها قصدوا .

(4) سورة آل عمران آية : ٨١ .

(5) سورة آل عمران الآيات : ٨١ - ٨٣ .

فلا دين بعد بعثة محمد ﷺ إلا دين محمد ﷺ ومن ابتغى غيره من الأديان فإنه لن يقبل منه ، ويكون يوم القيامة من الخاسرين : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [1] ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [2] : وهم كل من عنده علم و لم يعمل به ، من اليهود وغيرهم من ضلال العلماء ، الذين عرفوا الحق وتركوه ؛ تبعًا لأهوائهم ، وأغراضهم ، ومنافعهم الشخصية ، يعرفون الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ولكنهم لا يتبعونه ، بل يتبعون أهواءهم ، ورغباتهم ، وما تمليه عليهم عواطفهم ، أو انتماءاتهم المذهبية أو غير ذلك ، هؤلاء يُعتبرون من الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، لأنهم عصوا الله على بصيرة ، فغَضب الله عليهم . ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [3] : وهم الذين يعملون بغير علم ، ويجتهدون في العبادة ، لكنهم على غير طريق الرسول ﷺ كالمبتدعة والمخرّفين ، الذين يجتهدون في العبادة ، والزهد ، والصلاة ، والصيام ، وإحداث عبادات ما أنزل الله بها من سلطان ، ويتبعون أنفسَهم بأشياء لم يأتِ بها الرسولُ ﷺ هؤلاء ضالون ، عملُهم مرود عليهم ، كما قال الرسول ﷺ ﴿ من عمل عملا ليسَ عليه أمرنا فهو رَدٌّ ﴾ [4] [5] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٤) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (١٤٦/٦) .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده : (١٨٠/٦ و ١٤٦ و ٢٥٦) ، ورواه البخاري بهذا اللفظ معلقًا : (٣٩١/١٣) في كتاب " الاعتصام " . ومسلم في صحيحه : (١٧١٨) ، (١٨) ، والبخاري موصولا في " خلق أفعال العباد " ص ٤٣ ، وأبو عوانة : (١٨/٤ - ١٩) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده : (١٤٢٢) من حديث عائشة - رضي الله عنها - . ورواه بلفظ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فو رَدٌّ " : الإمام أحمد : (٢٤٠/٦ و ٢٧٠) ، والبخاري في صحيحه موصولا : (٢٦٩٧) ، ومسلم : (١٧١٨) (١٧) ، وأبو داود : (٤٦٠٦) ، وابن ماجه : (١٢) ، وأبو عوانة : (١٨/٤) ، والبغوي في شرح السنة : (١٠٣) ، وابن أبي عاصم في " السنة " : (٥٢ - ٥٣) ، والبيهقي : (١١٩/١٠) ، والدارقطني : (٢٢٤/٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧) ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " : (١٤٨) بلفظ : " من فعل في أمرنا ما لا يجوز فهو مردود " ، وأحمد في مسنده : (١٧٣/٦) بلفظ : " من صنع أمرًا من غير أمرنا فهو مردود " .

هؤلاء هم (الضالون) ومنهم النصارى ، وكل من عبد الله على جهل وضلال ، وإن كانت نيته حسنة ومقصده طيبًا ، لأنَّ العبرةَ ليستْ بالمقاصد فقط ، بل العبرةُ بالاتباع .

شروط قبول العمل

ولهذا يُشْتَرَطُ في كلِّ عملٍ ، أن يتوفَّرَ فيه شرطان ، ليكونَ مقبولا عند الله ، ومثابًا عليه صاحبُه :

الشرط الأول : الإخلاص لله ﷻ

الشرط الثاني : المتابعةُ للرسول ﷺ قال – تعالى – : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [1] .

وإسلام الوجهِ يعني : الإخلاصَ لله .

والإحسانُ هو المتابعةُ للرسولِ ﷺ .

فالله – جل وعلا – أمرَ بالاجتماعِ على الكتابِ والسنّةِ ، ونهانا عن التفرقِ والاختلاف .

والنبيُّ ﷺ كذلك أمرنا بالاجتماع على الكتاب والسنّةِ ، ونهانا عن التفرق والاختلاف ؛ لما في الاجتماع على الكتاب والسّنة من الخير العاجل والآجل ، ولما في التفرقِ من المضارِ العاجلةِ والآجلة في الدنيا والآخرة .

فالأمرُ يحتاجُ إلى اهتمامٍ شديدٍ ، لأنه كلما تأخّر الزمانُ كَثُرتِ الفِرَقُ ، وكثرتِ الدعايات ، كثرتِ النِّحَلُ والمذاهبُ الباطلةُ ، كثرتِ الجماعاتُ المتفرقةُ . لكن الواجب على المسلم أن يَنْظُرَ ، فما وافق كتابَ الله وسنّةَ رسولِهِ ﷺ أخذَ به ، ممن جاءَ به ، كائنًا من كان ؛ لأن الحقَّ ضالةُ المؤمن .

أما ما خالف ما كان عليه الرسولُ ﷺ تركَه ، ولو كان مع جماعتِهِ ، أو مع من ينتمي إليهم ، ما دام أنهُ مخالفٌ للكتاب والسنّة ؛ لأن الإنسان يريدُ النجاةَ لا يريدُ الهلاكَ لنفسه .

(١) سورة البقرة آية : ١١٢ .

والمجاملةُ لا تنفعُ في هذا ، المسألةُ مسألةُ جنّةٍ أو نار ، والإنسانُ لا تأخذُه المجاملةُ ، أو يأخذه التعصّبُ ، أو يأخذُه الهوى في أن ينحازَ مع غير أهل السنّةِ والجماعةِ ؛ لأنه بذلك يضرُّ نفسَهُ ، ويُخرِجُ نفسَه من طريق النجاةِ إلى طريقِ الهلاكِ .

وأهلُ السنّةِ والجماعةِ ، لا يضُرُّهم من خالفهم سواء كنتَ معهم ، أو خالفتَهم . إن كنتَ معهم ، أو خالفتهم . إن كنتَ معهم فالحمدُ لله ، وهم يفرحون بهذا ؛ لأنهم يريدون الخيرَ للناس ، وإن خالفتَهم فأنتَ لا تضرُّهم ، ولهذا قال ﷺ ﴿ لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتيَ أمرُ الله وهم كذلك ﴾ [1] [2] .

فالمخالفُ لا يضرُّ إلا نفسَه .

---

(١) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٥/٢٧٩) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ : مسلم : (١٩٢٠) ، وأبو داود : (٤٢٥٢) ، وفيه : " لا يضرهم من خالفهم " ، وزيادةٌ طويلةٌ في أوَّله . وأخرجه – أيضًا – الترمذي : (٢٢٢٩) مختصرًا وصحَّحه ، وأخرجه ابن ماجه في " المقدمة " : (١٠) وفي : (٣٩٥٢) مطوَّلا ، وأخرجه أحمد : (٥/٢٧٨) مطولا ، وفي : (٥/٢٧٩) مختصرًا . وأبو عوانة : (٥/١٠٩) مختصرًا ، وأبو نعيم : (١٩٢) ، والبيهقي : (٩/١٨١) ، والحاكم : (٤/٤٤٩) مطولاً . وأخرجه من حديث المغيرة بن شعبة البخاري : (٣٦٤٠) (٩٥٩) ، ومسلم : (١٩٢١) ، وأحمد : (٤/٢٤٤ ، ٢٥٢) ، والدارمي : (٣٤٣٧) ، وأبو عوانة : (٥/١٠٩) ، واللالكائي : (١٦٧) ، وأبو نعيم : (٤٣٧) ، والطبراني في " الكبير " : (٦٥٩) (٩٦٠) (٩٦٢) . وأخرجه من حديث معاوية البخاري : (٣٦٤١) ، ومسلم : (٣/١٥٢٤) ، وأحمد : (٤/١٠١) ، وأبو عوانة : (٥/١٠٦ – ١٠٧) ، واللالكائي : (١٦٦) ، وأبو نعيم : (٣١١) ، والبغوي في تفسيره : (٢/٢١٨) مختصرًا . وأخرجه من حديث جابر بن سمرة الإمام أحمد : (٥/١٠٣) ، ومسلم : (١٩٢٢) ، وأبو عوانة : (٥/١٠٥) ، والطبراني في " الكبير " : (١٨١٩) ، والحاكم : (٤/٤٤٩) . وأخرجه من حديث جابر بن عبد الله مسلم : (١٩٢٣) ، وأبو عوانة : (٥/١٠٥) ، وأحمد : (٣/٣٤٥ ، ٣٨٤) وأبو يعلى في مسنده : (٣١٣) ، والبيهقي : (٨/١٨٠) . ومن حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه مسلم : (١٩٢٥) ، وأبو عوانة : (٥/١٠٩) ، واللالكائي : (١٧٠) ، وأبو نعيم : (٢١٤) . ورُويَ الحديثُ عن عدد من الصحابة غير هؤلاء ، منهم : عمر بن الخطاب ، وسلمة الكندي ، وعمران بن حصين ، والنواس بن سمعان ، وأبو أمامة ، وقرة المزني ، وأبو هريرة – رضي الله عنهم – .

بيان أن العبرة بالموافقة للحق وليست بالكثرة

وليست العبرةُ بالكثرةِ ، بل العبرةُ بالموافقةِ للحقِّ [1] ، ولو لم يكنْ عليه إلا قِلّةٌ من الناس ، حتى ولو لم يكن في بعض الأزمان إلا واحدٌ من الناس ؛ فهو على الحق ، وهو الجماعة .

فلا يلزمُ من الجماعةِ الكثرةُ ، بل الجماعةُ من وافقَ الحقَّ ، ووافقَ الكتاب والسنّة ، ولو كان الذي عليه قليلٌ .

أما إذا اجتمعَ كثرةٌ وحقٌّ ، فالحمد لله هذا قوة .

أما إذا خالفته الكثرة ، فنحن ننحازُ مع الحقِّ ، ولو لم يكنْ معه إلا القليلُ .

وكما أخبرَ به ﷺ من حصول التفرق والاختلاف قد وقَعَ ، ويتطور كلما تأخَّرَ الزمان ، يتطوَّرُ التفرقُ والاختلاف إلى أن تقوم الساعةُ ، حكمةٌ من الله – سبحانه وتعالى – ليبتلي عبادَهُ ، فيتميز من كان يطلبُ الحقَّ ، ممن يؤثرُ الهوى والعصبية : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝ ﴾ [2] .

وقال – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝ ﴾ [3] .

فحصول هذا التفرق ، وهذا الاختلاف ؛ ابتلاءٌ من الله – سبحانه وتعالى – وإلا فهو قادر – سبحانه – أن يجمعَهم على الحق : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ ﴾ [4] .

---

(١) هذا هو الحق الذي نَدينُ الله به ، بخلاف ما اعتمدتهُ بعضُ الجماعات في الدعوةِ إلى الله ، بأن الهدف هو التجميعُ والتكتيلُ فقط ، ولو اختلفتِ العقائدُ ، فيجعلون في جماعتِهم الأشعريَّ ، والجهميَّ ، والمعتزليَّ ، والرافضيَّ ، وربما النصرانيَّ واليهوديَّ ، ويقولون : (نجتمع على ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه !) .

(٢) سورة العنكبوت الآيتان : ٢ ، ٣ .

(٣) سورة هود الآيتان : ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) سورة الأنعام آية : ٣٥ .

هو قادر على هذا ، لكنَّ حكمتَهُ اقتضَتْ أنْ يبتليَهم بوجودِ التفرق والاختلاف ، من أجل أنْ يتميزَ طالبُ الحقِّ من طالبِ الهوى والتعصب .

وما زالَ علماءُ الأمة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ينهون عن هذا الاختلاف ، ويوصون بالتمسك بكتابِ الله وسنّةِ رسولهِ ﷺ في كتبهم التي بقيتْ بعدَهم .

تجدون في كتاب " صحيح البخاري " مثلا : " كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة " .

تجدون في كتب العقائد ذكرَ الفرقِ الهالكة ، وذكرَ الفِرقة الناجية .

وأقربُ شيء لكم شرحُ الطحاوية ، وهي بين أيديكم الآن .

والغرضُ من هذا بيانُ الحقِّ منن الباطل ؛ إذ وقعَ ما أخبرَ به ﷺ من التفرق والاختلاف .

فالواجبُ أن نعملَ بما أوصانا به الرسولُ ﷺ في قوله : ﴿ فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدي ﴾ [1] [2] .

لا نجاةَ من هذا الخطر إلا بالتمسكِ بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ولا تحسَبَنَّ هذا الأمرَ يَحْصُلُ بسهولةٍ ، لا بد أن يكونَ فيه مشقةٌ .

لكن يحتاج إلى صبرٍ وثباتٍ ، وإلا فإن المتمسك بالحقِّ - خصوصًا في آخر الزمان - سيعاني من المشاق ، ويكونُ القابضُ على دينِه كالقابضِ على الجمرِ ، كما صَحَّ عن النبي ﷺ [3] والمتمسكون بسنة الرسول ﷺ والسائرون على منهج السلف ؛ يكونون

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) سَبَقَ تخريجه ص : ٧ ، وهو جزءٌ من حديث العرباض بن سارية .

(٣) أخرجه الترمذي : (٢٢٦٠) ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " : (١٩٥) عن أنس أنه قال : قال رسول الله " يأتي على الناس زمانٌ ، الصابرُ فيهم على دينه كالقابضِ على الجمر " وفيه : عمر بن شاكر : ضعيف ، كما في " التقريب " . والحديث حسَّنَهُ السيوطي كما في " الجامع الصغير " : (٩٩٨٨) ، وأورده الألباني في " الصحيحة " برقم : (٩٥٧) وصَحَّحَه . وللحديث شواهد : الأول : أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٠/٢ - ٣٩١) عن أبي هريرة مرفوعًا ، ولفظه : " ويلٌ للعربِ من شرٍّ قد اقترب ؛ فِتَنًا كقِطَعِ الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ، يبيع قومٌ دينَهم بعَرَضٍ من الدنيا قليل ، المتمسك يومئذٍ على دينه كالقابضِ على الجمر -
=

غرباء في آخر الزمان ، كما أخبر بذلك ﷺ بقوله : ﴿ فطوبى للغرباء الذين يُصْلِحُونَ ما أفسدَ الناسُ من بعدي من سنتي ﴾ [(١)] [(٢)] .

أو قال : على الشوك - " وفيه : ابن لهيعة ، قال الألباني بعده - كما في الصحيحة : (٦٨٢/٢) - : (قلتُ : وإسناده لا بأسَ به في الشواهد ، رجاله ثقات ، غيرَ ابن لهيعة ؛ فإنه سيئ الحفظ) . الثاني : أخرجه الترمذي : (٣٠٥٨) ، وأبو داود : (٤٣٤١) ، وابن ماجه : (٤٠٦٣) ، والبغوي في شرح السنة : (٣٤٤/١٤) ، وفي تفسيره : (١١٠/٣) بلفظٍ مطوَّل في آخره : " . . فإن من ورائكم أيامًا ، الصبرُ فيهنَّ مثلُ القبض على الجمر ، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملَكم " . ومدار إسناده على :

١ - عتبة بن أبي حكيم : صدوق يخطئ .

٢ - عمرو بن جارية : مقبول .

٣ - أبي أُميَّةَ الشَّعْباني الدمشقي : مقبول . الثالث : عن ابن مسعود مرفوعًا بلفظ : " يأتي على الناس زمانٌ ، المتمسكُ فيه بسنتي عند اختلافِ أمتي كالقابضِ على الجمر " . قال الألباني بعده - (٦٨٣/٢) " الصحيحة " - : (أخرجه أبو بكر الكلاباذي في " مفتاح المعاني " ق ٢/١١٨ ، والضياء المقدسي في " المنتقى . . " : ١/٩٩ . . . وقد عزاه السيوطي للحكيم الترمذي عن ابن مسعود ، وبيض له المناوي ! . وجملة القول : أنَّ الحديثَ بهذه الشواهد - أي : حديثَ أنس السابق - صحيحٌ ثابتٌ ؛ لأنَّه ليسَ في شيء من طرقها متهم ، لا سيما وقد حسَّنَ بعضها الترمذي وغيرُه . والله أعلم) اهـ . قال المباركفوري في شرحه لحديث أنس السابق ، في " تحفة الأحوذي " : (٤٤٥/٦) : (قال الطيبي : " المعنى : كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبرَ لإحراق يدِه ، كذلك المتدينُ يومئذٍ لا يقدرُ على ثباته على دينه ؛ لغلَبةِ العصاةِ والمعاصي ، وانتشار الفسقِ ، وضعفِ الإيمان " انتهى . قال القاري : " الظاهرُ أن معنى الحديثِ : كَما لا يمكنُ القَبضُ على الجمرةِ إلا بصبرٍ شديدٍ وتحمل غلبةِ المشقةِ ، كذلك في ذلك الزمان ، لا يتصوَّرُ حفظُ دينِهِ ونورِ إيمانِهِ إلا بصبرٍ عظيمٍ " انتهى) اهـ من التحفة .

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٣٠) .

(٢) أخرجه الترمذي : (٢٦٣٠) بهذا اللفظ وقال : " حسن صحيح " ، وأخرجه أبو نعيم في " الحلية " : (٩٨) ، والبغوي معلقًا في شرح السنة : (١٢٠/١ - ١٢١) من حديث عمرو بن عوف . وفي سنده كثير بن عبد الله المزني : متروك . والحديث صحيح من وجوهٍ أخرى ؛ فأخرجه مسلم في صحيحه : (١٤٥) من حديث أبي هريرة بلفظ : " بدأ الإسلام غريبًا وسيعودُ - كما بدأ - غريبًا ، فطوبى للغرباء " . ورواه أحمد : (٣٨٩/٢) ، وابن ماجه : (٣٩٨٦) ، واللالكائي : (١٧٤) ، والآجري في كتاب " الغرباء " : (٤) ، وابن منده في " الإيمان " : (٤٢٢ - ٤٢٣) . ومن حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : رواه مسلم : (١٤٦) ، وابن منده في " الإيمان " : (٤٢١) . ومن حديث ابن مسعود رواه أحمد : (٣٩٨/١) ، والترمذي : (٢٦٢٩) ، وابن ماجه : (٣٩٨٨) ، والدارمي : (٢٧٥٨) ، والآجري في كتاب "

=

وفي رواية : ﴿ الذين يَصْلُحُونَ إذا فسدَ الناسُ ﴾ [1] [2] .

فهذا يحتاجُ إلى العلم أولا ؛ بكتابِ الله وسنّة رسوله ﷺ والعلمِ بمنهجِ السلف الصالح وما كانوا عليه .

ويحتاجُ التمسكُ بهذا إلى صبرٍ على ما يلحقُ الإنسانَ من الأذى في ذلك ، ولذلك يقولُ – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ [3] . ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ [4] هذا يدلُ على أنَّهم سيلاقون مشقةً في إيمانهم وعملهم ، وتواصيهم بالحق ، سيلاقون عنتًا من الناس ، ولومًا من الناس وتوبيخًا ، وقد يلاقون تهديدًا ، أو قد يلاقون قتلاً وضربًا ، ولكن يصبرون ، ما داموا على الحق ، يصبرون على الحق ويثبتون عليه ، وإذا تبين لهم أنَّهم على شيءٍ من الخطأ يرجعون إلى الصواب ؛ لأنه هدفُهم .

الغرباء " : (٢) ، والبغوي في شرح السنة : (٦٤) . وأخرجه أحمد (١٨٤/١) من حديث سعد بن أبي وقاص . وأخرجه ابن ماجه : (٣٩٨٧) ، والآجري في كتاب " الغرباء " : (٥) من حديث أنس .

(١) أحمد (٧٤/٤) .

(٢) أخرج الحديثَ بهذا اللفظ : الطبراني في " الكبير " : (٧٦٥٩) ، والآجري في كتاب " الغرباء " : (٥) من حديث أبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وواثلة بن الأسقع ، وأنس بن مالك – رضي الله عنهم – . وفي إسناده كثير بن مروان الشامي : متروك . وأخرجه اللالكائي : (١٧٣) ، والطبراني في " الأوسط " كما في المجمع : (٢٧٨/٧) من حديث جابر وفيه : أبو عياش النعمان المعافري : مجهول . ومن حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – : أخرجه أبو يعلى في مسنده . ذكره في " المطالب العالية " لابن حجر : (٤٨٣) . ومن حديث عبد الرحمن بن سنة : أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في " الزوائد " : (٧٣/٤ – ٧٤) ، وابن عدي في " الكامل " : (١٦١٥/٤) . ومن حديث سهل بن سعد الساعدي أخرجه الطبراني في " الكبير " : (٢٠٢/٦) ، وفيه : بكر بن سليم الصواف : ضعيف .

(٣) سورة العصر الآيات :١ – ٣ .

(٤) سورة العصر آية : ٣ .

ذكر أصول الفرق

لقد حدثَ التفرقُ في وقتٍ مبكرٍ ، ونحنُ في هذهِ المحاضرةِ سنتكلمُ عن أربعِ فرقٍ ، هي أصول الفرقِ تقريبًا .

الفرقة الأولى القدرية

فأولُ ما حدث ، فرقةُ " القدرية " في آخر عهد الصحابة .

" القدريةُ " : الذين ينكرونَ القدرَ ، ويقولون : إنّ ما يجري في هذا الكون ليس بقدر وقضاءٍ من الله – سبحانه وتعالى – وإنما هو أمرٌ يحدثُ بفعل العبد ، وبدون سابقِ تقدير من الله ﷻ فأنكروا الركن السادسَ من أركانِ الإيمان ، لأنّ أركانَ الإيمان ستةٌ : الإيمانُ بالله ، وملائكتِهِ ، وكتبه ، ورسلِه ، واليومِ الآخرِ ، والإيمانِ بالقدرِ خيره وشره ، كلُّه من الله – سبحانه وتعالى – .

وسُمُّوا " بالقدرية " ، وسُمُّوا " بمجوس " هذه الأمة ، لماذا ؟

لأنهم يزعمون أنّ كُلّ واحدٍ يَخْلُقُ فعلَ نفسه ، ولم يكنْ ذلك بتقديرٍ من الله ، لذلك أثبتوا خالقين مع الله كالمجوس الذين يقولون : (إنّ الكونَ له خالقانِ : " النور والظلمة " ، النورُ خلقَ الخيرَ ، والظلمةُ خلقَتِ الشرَّ) .

" القدريةُ " زادوا على المجوسِ ؛ لأنهم أثبتوا خالقَين متعددين ، حيث قالوا : (كُلٌّ يخلُقُ فعلَ نفسه) ، فلذلك سُمُّوا " بمجوسِ هذه الأمة " .

وقابَلَتْهم " فرقةُ الجبرية " الذين يقولون : " إنّ العبدَ مجبورٌ على فعلِه ، وليس له فعلٌ ولا اختيارٌ ، وإنما هو كالريشةِ التي تحركُها الريحُ بغير اختيارها " .

فهؤلاء يُسَمَّونَ " بالجبرية " وهم " غُلاةُ القدرية " ، الذين غلوا في إثبات القدر ، وسَلبوا العبدَ الاختيارَ .

والطائفةُ الأولى منهم على العكس ، أثبتوا اختيارَ الإنسان وغَلَو فيه ، حتى قالوا : إنه يخلُقُ فِعْلَ نفسهِ مستقلاً عن الله ، تعالى الله عما يقولون .

وهؤلاء يُسمَّون " بالقدرية النفاةِ " . ومنهم : " المعتزلةُ " ، ومن سارَ في ركابهم .

هذه فرقة القدرية بقسميها :

١ - الغلاةُ في النفي .

٢ - والغلاةُ في الإثباتِ .

وتفرَّقتِ " القدريةُ " إلى فرقٍ كثيرةٍ ، لا يعلمها إلا الله ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا تركَ الحق فإنه يهيمُ في الضلال ، كُلُّ طائفةٍ تُحدثُ لها مذهبًا وتنشقّ به عن الطائفة التي قبلها ، هذا شأنُ أهلِ الضلالِ ؛ دائمًا في انشقاقٍ ، ودائمًا في تفرقٍ ، ودائمًا تحدثُ لهم أفكارٌ وتصوراتٌ مختلفة متضاربة .

أما أهلُ السنّةِ والجماعةِ ، فلا يَحدُثُ عندَهم اضطرابٌ ولا اختلافٌ ؛ لأنهم متمسكون بالحق الذي جاء عن الله - سبحانه وتعالى - فهم معتصمون بكتابِ الله وبسنةِ رسوله -صلى الله عليه وسلم- ؛ فلا يَحْصُلُ عندَهم افتراقٌ ولا اختلافٌ ، لأنهم يسيرونَ على منهجٍ واحدٍ .

الفرقة الثانية الخوارج

وهم الذين خرجوا على ولي الأمر في آخر عهدِ عثمان ﷺ ونَتَجَ عن خروجهم قتلُ عثمان ﷺ .

ثم في خلافةِ علي ﷺ زادَ شرُّهم ، وانشقوا عليه ، وكفّروه ، وكفّروا الصحابة ؛ لأنهم لم يوافقوهم على مذهبهم ، وهم يحكُمون على من خالفَهم في مذهبهم أنه كافرٌ ، فكفّروا خيرةَ الخلقِ وهم صحابةُ رسولِ الله ﷺ لماذا ؟ لأنَّهم لم يوافقوهم على ضلالِهم وعلى كفرهم .

ومذهبُهم : أنَّهم لا يلتزمون بالسنّة والجماعة ، ولا يطيعون وليَّ الأمر ، ويرون أن الخروجَ عليه من الدين ، وأن شَقَّ العصا من الدين [1] عكس ما أوصى به الرسول ﷺ من

---

(١) وفي عصرنا ربما سمّوا من يرى السمعَ والطاعةَ لأولياء الأمور في غير ما معصية عميلا ، أو مداهنًا ، أو مغفلاً . فتراهم يقدحون في وَليِّ أمرهم ، ويشّهرون بعيوبه من فوق المنابر ، وفي تجمعاتهم ، والرسولُ يقولُ : " من أرادَ أن ينصحَ لسلطان بأمر ؛ فلا يبدِ له علانيةً ولكن ليأخذْ بيدِه ، فيخلوا به ، فإن قَبِلَ منه فذاكَ ، وإلا كان قد أدَّى الذي عليه " رواه أحمد : (٤٠٤/٣) من حديث عياض بن غنم ورواه – أيضًا – ابن أبي عاصم في " السنة " : (٥٢٢/٢) . أو إذا رأى وليُّ الأمرِ إيقافَ أحدِهم عن الكلام في المجامع العامة ؛ تجمعوا وساروا في مظاهرات ، يظنونَ – جهلاً منهم – أنَّ إيقافَ أحدِهم أو سجنَهُ يسوغُ الخروج ، أوَلَمْ يسمعوا قولَ النبي في حديث عوف بن مالك الأشجعي عند مسلم (١٨٥٥) : " لا . ما أقاموا فيكم الصلاة " . وفي حديث عبادة بن الصامت في " الصحيحين " : " إلا أن تروا كفرًا بواحًا ، عندكم فيه من الله برهان " وذلك عند سؤال الصحابة واستئذانهم له بقتال الأئمة الظالمين . ألا يعلمُ هؤلاء كم لبثَ الإمامُ أحمدُ في السجنِ ، وأينَ ماتَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية ؟ ! ألم يسجن الإمام أحمد بضع سنين ، ويجلد على القول بخلق القرآن ، فلِمَ لَمْ يأمر الناس بالخروج على الخليفة ؟ ! وألم يعلموا أن شيخ الإسلام مكث في السجن ما يربو على سنتين ، ومات فيه ، لِمَ لَمْ يأمرِ الناسَ بالخروجِ على الوالي – مع أنَّهم في الفضلِ والعلمِ غايةٌ ، فيكف بمن دونهم – ؟ ؟ ! إنَّ هذه الأفكارَ والأعمالَ لم تأتِ إلينا إلا بعدما أصبحَ الشبابُ يأخذون علمَهم من المفكِّرِ المعاصرِ فلان ، ومن الأديب الشاعرِ فلان ، ومن الكاتبِ الإسلامي فلان ، ويتركونَ أهل العلمِ ، وكتبَ أسلافِهم خلفَهم ظهريا ؛ فلا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله .

لزوم الطاعة [(١)] وعكس ما أمر الله به في قوله : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ [(٢)] .

الله – جل وعلا – جعل طاعة ولي الأمر من الدين ، والنبي ﷺ جَعَلَ طاعةَ وليِّ الأمرِ من الدين قال ﷺ ﴿ أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعةِ ، وإن تأمَّرَ عليكم عبدٌ ، فإنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا . ﴾ [(٣)] [(٤)] .

فطاعةُ وليِّ الأمرِ المسلمِ من الدين . " والخوارجُ " يقولون : لا ، نحنُ أحرارٌ . هذه طريقة الثوراتِ اليوم .

فـــ " الخوارجُ " الذين يريدونَ تفريقَ جماعةِ المسلمين ، وشقَّ عصا الطاعة ، ومعصية الله ورسولِهِ في هذا الأمر ، ويرون أن مرتكبَ الكبيرةِ كافرٌ .

ومرتكبُ الكبيرة هو : الزاني – مثلا – والسارقُ ، وشاربُ الخمر ؛ يرون أنه كافرٌ ، في حين أنَّ أهلَ السنّةِ والجماعةِ يرون أنهُ " مسلمٌ ناقصُ الإيمان " [(٥)] ويسمونه بالفاسق الملِّي ؛ فهو " مؤمنٌ بإيمانهِ فاسقٌ بكبيرته " ؛ لأنه لا يَخْرجُ من الإسلام إلا الشركُ أو نواقضُ الإسلام المعروفة ، أما المعاصي التي دون الشرك ، فإنها لا تُخرجُ من الإيمانِ ، وإن كانتْ كبائرَ ، قال الله – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [(٦)] .

(١) انظر ص : ١٠ ، حاشية : (١) .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٣) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٤) سبق تخريجه ص : ٧ .

(٥) حتى لو فعل الكبيرة مستخفًّا بها لا يكفر ما لم يستحلها ، خلافًا لما يقوله بعضُهم : من أنَّ مرتكبَ الكبيرة إذا كان مستخفًّا يكفر كفرًا مخرجًا عن الملّة . وهذا القولُ هو عينُ قولِ الخوارجِ ، كما قال ذلك شيخنا الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، عندما سئل عنه بالطائف عام ١٤١٥ هـــ .

(٦) سورة النساء آية : ٤٨ .

و " الخوارجُ " يقولون : مرتكبُ الكبيرة كافرٌ ، ولا يُغفَرُ له ، وهو مخلّدٌ في النار . وهذا خلافُ ما جاءَ في كتاب الله – سبحانه وتعالى – .

والسببُ : أنهم ليسَ عندهم فقهٌ .

لاحظُوا أن السببَ الذي أوقَعَهُم في هذا أنهم ليس عندَهم فقه ، لأنَّهم جماعةٌ اشتدوا في العبادةِ ، والصلاةِ ، والصيامِ ، وتلاوةِ القرآنِ ، وعندهم غَيرةٌ شديدةٌ ، لكنهم لا يفقهون ، وهذه هي الآفة .

فالاجتهادُ في الورعِ والعبادةِ ، لا بدَّ أن يكونَ مع الفقه في الدين والعلم .

ولهذا وصفهم النبيُّ ﷺ لأصحابه ، بأن الصحابةَ يحقرون صلاتهم إلى صلاتهم ، وعبادتهم إلى عبادتهم ، ثم قال ﷺ ﴿ يمرُقُون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّةِ ﴾ (١) (٢) مع عبادتهم ، ومع صلاحهم ، ومع تهجدهم وقيامهم بالليل ، لكن لما كان اجتهادُهم ليس على أصلٍ صحيحٍ ، ولا على علمٍ صحيح ، صار ضلالا ووباءً وشرًّا عليهم وعلى الأمةِ .

(١) البخاري المناقب (٣٤١٤) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي تحريم الدم (٤١٠١) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، أحمد (٣/٥) .

(٢) جزءٌ من حديثٍ طويل ، أخرجه أحمد : (٣/٧٣) ، والبخاري : (٧٤٣٢) ، ومسلم : (١٠٦٤) ، والنسائي : (٢٥٧٧) (٤١١٢) ، وأبو داود : (٤٧٦٤) ، والطيالسي : (٢٢٣٤) من حديث أبي سعيد . ومن حديث علي ابن أبي طالب البخاري : (٣٦١١) (٥٠٥٧) (٦٩٣٠) ، ومسلم : (١٠٦٦) ، وأبو داود : (٤٧٦٧) ، والطيالسي : (١٦٨) ، والنسائي : (٤١١٣) ، وأحمد : (١/٨١) (١/١١٣) . ومن حديث جابر عند : أحمد ، ومسلم ، والنسائي ، وابن ماجه . ومن حديث سهل بن حنيف عند : الشيخين ، والنسائي . ومن حديث ابن مسعود عند : أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه . ومن حديث أبي برزة الأسلمي عند : أحمد ، والطيالسي ، والنسائي ، والحاكم . ومن حديث أبي سعيد وأنس – رضي الله عنهما – ، عند : أحمد ، وأبي داود ، والحاكم في " مستدركه " . ومن حديث أبي بكرة عند : أحمد ، والطبراني . ومن حديث عامر بن وائلة عند : الطبراني .

وما عُرِفَ عن " الخوارجِ " في يومٍ من الأيام أنهم قاتلوا الكفار ، أبدًا ، إنما يقاتلون المسلمين ، كما قال ﷺ ﴿ يقتلون أهلَ الإسلامِ ويَدَعُون أهلَ الأوثانِ ﴾ [1] [2] .

فما عرفنا في تاريخ " الخوارجِ " ، في يومٍ من الأيام أنَّهم قاتلوا الكفار والمشركينَ ، وإنما يقاتلون المسلمين دائمًا : قتلوا عثمان . وقتلوا علي بن أبي طالب ، وقتلوا الزبير بن العوام ، وقتلوا خيار الصحابة ، وما زالوا يقتلون المسلمين .

وذلك بسبب جهلهم في دين الله ﷻ مع ورَعِهم ، ومع عبادتهم ، ومع احتهادهم ، لكن لما لم يكنْ هذا مؤسَّسًا على علمٍ صحيح ؛ صارَ وبالا عليهم ، ولهذا يقول العلامةُ ابنُ القيم في وصفهم :

وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّروا في فَهْمِهَا فَأُتُوا مِنَ التقْصِيرِ في العِرْفَانِ[3]

فهم استدلوا بنصوصٍ وهم لا يفهمونها ، استدلوا بنصوصٍ من القرآن ومن السنّة ؛ في الوعيدِ على المعاصي ، وهم لا يفقهون معناها ، لم يُرجعوها إلى النصوص الأخرى ، التي فيها الوعدُ بالمغفرة ، والتوبة لمن كانت معصيتُه دون الشرك ؛ فأخذوا طرفًا وتركوا طرفًا ، هذا لجهلهم .

والغيرةُ على الدين والحماسُ لا يكفيان ، لا بد أَنْ يكونَ هذا مؤسَّسًا على علمٍ ، وعلى فقهٍ في دين الله ﷻ يكونُ ذلك صادرًا عن علمٍ ، وموضوعًا في محله .

والغيرةُ على الدين طيبةٌ ، والحماسُ للدين طيِّب ، لكن لا بد أن يُرشَّدَ ذلك باتباعِ الكتابِ والسنة .

---

(١) البخاري التوحيد (٦٩٩٥) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، أحمد (٦٨/٣) .

(٢) جزءٌ من حديثٍ طويل ، أخرجه أحمد : (٧٣/٣) (٦٨/٣) ومختصرًا : (٧٢/٣) ، والبخاري : (٧٤٣٢) (٤٦٦٧) مختصرًا ، ومسلم : (١٠٦٤) ، والنسائي : (٢٥٧٧) (٤١١٢) ، وأبو داود : (٧٤٦٤) ، والطيالسي : (٢٢٣٤) .

(٣) نونية ابن القيم المسمّاة : " الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية " ص : ٩٧ .

ولا أَغْيَرَ على الدين ، ولا أنصحَ للمسلمين ؛ من الصحابة - رضي الله عنهم - ومع ذلك قاتلوا " الخوارج " ؛ لخطرهم وشرِّهم .

قاتَلهم عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قتَلهم شرَّ قِتْلَةٍ في وقعةِ " النهروان " ، وتحقق في ذلك ما أخبر به ﷺ من أنَّ النبي ﷺ بَشَّرَ من يقتُلُهم بالخير والجنة ، فكان علي بن أبي طالب هو الذي قتلَهم ، فحصَلَ على البشارةِ من الرسول ﷺ (1) قَتَلَهُم ليدفعَ شرَّهم عن المسلمين .

وواجبٌ على المسلمين في كلِّ عصرٍ إذا تحققوا من وجودِ هذا المذهبِ الخبيثِ ؛ أن يعالجوه بالدعوة إلى الله أولا ، وتبصيرِ الناس بذلك ، فإن لم يمتثلوا قاتَلُوهم دفعًا لشرِّهم .

وعليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه أرسلَ إليهم ابنَ عمه : عبدَ الله بنَ عباس ، حَبْرَ الأمة ، وترجمانَ القرآن ؛ فناظَرَهم ، ورَجَعَ منهم ستَّةُ آلاف ، وبقي منهم بقيةٌ كثيرةٌ لم يرجعوا ، عندَ ذلك قاتَلَهم أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب ومعه الصحابة ؛ لدفعِ شرِّهم وأذاهم عن المسلمين .

هذه " فرقةُ الخوارج " ومذهبُهم .

---

(1) روى البخاري في صحيحه : (٦٩٣٠) ، ومسلم في صحيحه : (١٠٦٦) ، وأحمد في مسنده : (١١٣/١) ، وابن أبي عاصم في " السنة " : (٩١٤) ، وعبد الله ابن الإمام أحمد في " السنة " : (١٤٨٧) : عن علي قال : سمعتُ رسول الله يقول : " يخرجُ في آخرِ الزمانِ قومٌ أحداثُ الأسنانِ ، سفهاءُ الأحلامِ ، يقولون من خير قول البريةِ ، لا يجاوزُ إيمانُهم حناجرَهم ، فأينما لقيتموهم فاقتُلوهُم ؛ فإنّ قَتْلَهم أجرٌ لمن قتَلَهم يوم القيامة " . قال أبو سعيد الخدري بعدما روى حديثًا في الخوارج وعلاماتهم ، رواه أحمد في " المسند " : (٣٣/٣) ، وابنه في " السنة " : (١٥١٢) - قال : (فحدثني عشرون أو بضعٌ وعشرون من أصحابِ رسولِ الله أنَّ عليًّا وَلِيَ قتْلَهم) . وروى أحمد : (٥٩/١) ، ومسلم : (١٠٦٦) ، وعبد الله بن الإمام أحمد في " السنة " : (١٤٧١) عن علي قال : قال رسول الله " يخرجُ قومٌ فيهم رجلٌ مودنٌ اليدِ ، أو مثدون اليدِ ، أو مخدج اليدِ ، ولولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وَعَدَ الله الذين يقاتلونهم على لسان نبيه " . وروى مسلم : (١٠٦٥) ، وأبو داود : (٤٦٦٧) ، وعبد الله بن الإمام أحمد في " السنة " : (١٥١١) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال : " تَمرق مارقةٌ في فِرقَةٍ من المسلمين ، يقتُلُهما أولى الطائفتين بالحق " . هذا ، وقد جاء الأمرُ بقتلِهم وفضلِه في أحاديثَ كثيرةٍ ، ليسَ هذا مجالُ ذِكرِها .

الفرقة الثالثة : الشيعة

" الشيعة " : هم الذين يتشيّعون لأهلِ البيت .

و " التشيّع " في الأصل : الاتباعُ والمناصرةُ : ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (1) .

يعني : أتباعه إبراهيم ، ومن أنصار ملتِه ؛ لأنَّ الله – سبحانه – لما ذكر قصةَ نوحٍ قال : ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (2) .

فأصلُ " التشيّع " : الاتباعُ والمناصرةُ ، ثم صار يُطلقُ على هذه الفِرقة ، التي تزعم أنها متَّبعةٌ لأهل البيت – وهم : عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ وذريتُه – .

ويزعمون أن عليًّا هو الوصي بعد الرسول ﷺ على الخلافِة ، وأنَّ أبا بكر وعمرَ وعثمانَ والصحابةَ ظلموا عَليًّا ، واغتصبوا الخلافةَ منه . هكذا يقولون .

وقد كذبوا في ذلك ؛ لأن الصحابة أجمعوا على بيعة أبي بكرٍ ومنهم عليٌّ ﷺ حيثُ بايَعَ لأبي بكرٍ ، وبايعَ لعمر ، وبايعَ لعثمان .

فمعنى هذا : أنهم خونوا عليًّا ﷺ .

وقد كَفَّروا الصحابةَ إلا عددًا قليلاً منهم ، وصاروا يعلنونَ أبا بكرٍ وعمرَ ، ويلقّبونهما " بصنمي قريش " .

ومن مذهبهم : أنهم يُغلون في الأئمةِ من أهلِ البيت ، ويُعطونَهم حقَّ التشريع ونسخَ الأحكام .

ويزعمون أن القرآن قد حُرِّفَ ونُقِّصَ ، حتى آل بهم الأمرُ إلى أن اتخذوا الأئمةَ أربابًا من دون الله ، وبنوا على قبورهم الأضرحةَ ، وشَيَّدوا عليها القبابَ ، وصاروا يطوفونَ بها ، ويذبحون لها وينذرون .

---

(1) سورة الصافات آية : ٨٣ .

(2) سورة الصافات آية : ٨٣ .

وتفرّقت " الشيعة " إلى فرقٍ كثيرة ، بعضُها أخَفُّ من بعض ، وبعضُها أشَدُّ من بعض ، منهم : " الزيدية " ، ومنهم : " الرافضة الاثنا عشرية " ، ومنهم : " الإسماعيلية " " والفاطمية " ، ومنهم : " القرامطة " ، ومنهم . . . ، ومنهم . . . ، عددٌ كبيرٌ ، وفِرَقٌ كثيرة .

وهكذا . . كلٌّ من تركَ الحقَّ فإنهم لا يزالون في اختلافٍ وتفَرُّق ، قال – تعالى – : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (1) .

فمن تركَ الحقَّ يُبتلى بالباطل ، والزيغِ ، والتفرُّقِ ، ولا ينتهي إلى نتيجة ، بل إلى الخسارة – والعياذُ بالله – .

وتفرَّقت " الشيعةُ " إلى فرقٍ كثيرةٍ ، ونِحَلٍ كثيرة .

وتفرَّقت " القدرية " .

وتفرَّقت " الخوارج " إلى فرق كثيرة : " الأزارقة " ، " والحرورية " ، " والنجدات " ، " والصفرية " ، " والإباضية " ، ومنهم الغلاةُ ، ومنهم من هو دون ذلك .

(1) سورة البقرة آية : ١٣٧ .

الفرقة الرابعة : الجهمية

" الجهميةُ " ، وما أدراك ما الجهمية ؟ ! !

" الجهميةُ " : نسبةً إلى " الجهم بن صفوان " ، الذي تتلمذَ على " الجعد بن دِرهم " ، " والجعد بن درهم " تتلمذَ على " طالوت " ، " وطالوت " تتلمذ على " لبيد بن الأعصم " اليهودي ؛ فهم تلاميذ اليهود .

وما هو " مذهبُ الجهمية " ؟

" **مذهبُ الجهمية** " : أنهم لا يُثبتون لله اسمًا ولا صفةً ، ويزعمون أنه ذاتٌ مجرَّدةٌ عن الأسماءِ والصفاتِ ؛ لأن إثباتَ الأسماءِ والصفاتِ – بزعمهم – يقتضي الشركَ ، وتعدُّدَ الآلهة – كما يقولون – .

هذه شبهتُهم اللعينة .

ولا ندري ماذا يقولون في أنفسهم ؟ فالواحدُ منهم يوصفُ بأنه عالمٌ ، وبأنه غنيٌّ ، وبأنه صانعٌ ، وبأنه تاجرٌ ، فالواحدُ منهم له عِدَّةُ صفاتٍ ، هل معنى ذلك أن يكونَ عِدَّةَ أشخاصٍ ؟!

هذه مكابرةٌ للعقولِ ؛ فلا يلزمُ من تعددِ الأسماءِ والصفاتِ تعدُّدَ الآلهةِ ، ولهذا لَمَّا قال المشركون من قبلُ لَمَّا سمعوا النبي ﷺ يقول : يا رحمن ، يا رحيم قالوا : هذا يزعم أنه يعبدُ إلهًا واحدًا ، وهو يدعو آلهةً متعددةً ، فأنزل الله – سبحانه وتعالى – قوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ (١) (٢) .

فأسماء الله كثيرة ، هي تُدلُّ على كمالِه وعظمتِه – سبحانه وتعالى – لا تدلُّ على تعدُّدِ الآلهةِ – كما يقولون – بل تدلُّ على العظمة ، وعلى الكمالِ .

---

(١) سورة الإسراء آية : ١١٠ .

(٢) تفسير ابن كثير : (٣٥٩/٤) .

أما الذاتُ المجرَّدةُ التي ليس لها صفاتٌ فهذهِ لا وجودَ لها ، مستحيلٌ يوجدُ شيْءٌ وليس له صفاتٌ ، أبدًا ، ولو على الأقل صفة الوجود .

ومن شبههم : " أن إثباتَ الصفاتِ يقتضي التشبيه ؛ لأنَّ هذه الصفات يوجد مثلها في المخلوقين " .

وهذا قولٌ باطل ؛ لأنَّ صفات الخالق تليق به ، وصفات المخلوقين تليقُ بهم ؛ فلا تشابه .

و " الجهميةُ " جمعوا إلى ضلالِهم في الأسماء والصفاتِ الجبرَ في القدر ؛ لأن " الجهميةَ " يقولون : " إنَّ العبدَ ليس له مشيئةٌ ، وليس له اختيارٌ ، وإنما هو مُجْبَرٌ على أفعالِه " .

ومعنى هذا : أنَّه إذا عُذِّبَ على المعصيةِ يكونُ مظلومًا ؛ لأنَّها ليستْ فِعْلَهُ ، وإنما هو مجبرٌ عليها - كما يقولون - تعالى الله عن ذلك .

فهم جمعوا بين " الجبرِ في القدر " ، وبين " التجهُّم في الأسماءِ والصفاتِ " ، وجمعوا إلى ذلك " القولَ بالإرجاءِ " ، وأضافوا إلى ذلكَ " القول بخلقِ القرآن " ﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾ (١) .

قال ابن القيم :

جِيْمٌ وجِيْمٌ ثُمَّ جِيْمٌ مَعْهُمَا مَقْرُونَةً مَعْ أَحْرُفٍ بِوِزَانِ
جَبْرٌ وإِرْجَاءٌ وَجِيْمُ تَجَهُّمٍ فَتَأَمَّلِ المجْمُوعَ في الْمِيْزَانِ
فَاحْكُمْ بطالِعِها لِمَنْ حَصُلَتْ بخلاصِهِ مِنْ رِبْقَةِ الإيمان (٢)

يعني : جمعوا بين " جَبْرٍ " " وتَجَهُّمٍ " " وإرجاءٍ " ، ثلاثُ جيمات ، والجيمُ الرابعةُ جيمُ جهنَّم .

(١) سورة النور آية : ٤٠ .

(٢) نونية ابن القيم ، ص : ١١٥ .

الحاصلُ : أن هذا " مذهبَ الجهميةِ " ، والذي اشتهرَ فيه نفيُ الأسماءِ والصفاتِ عن الله – سبحانه وتعالى – انشَقَّ عنه " مذهبُ المعتزلةَ " ، " ومذهبُ الأشاعرة " ، " ومذهبُ الماتريدية " .

و " مذهبُ المعتزلة " : أنهم أثبتوا الأسماءَ ونفوا الصفات ، لكن أثبتوا أسماءً مجرَّدة ، مجرَّدَ ألفاظٍ لا تدلُّ على معانٍ ولا صفاتٍ .

سُمُّوا " بالمعتزلة " : لأن إمامهم " واصل بن عطاء " كان من تلاميذ الحسن البصري – رحمه الله – الإمام التابعي الجليل ، فلمَّا سُئِلَ الحسن البصري عن مرتكب الكبيرة ، ما حكمه ؟ فقال بقولِ أهل السنَّةِ والجماعة : " إنه مؤمنٌ ناقصُ الإيمان ، مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته " .

فلم يرضَ " واصلُ بنُ عطاء " بهذا الجواب من شيخه ؛ فاعتزلَ وقال : " لا . أنا أرى أنه ليس بمؤمنٍ ولا كافر ، وأنه في المترلةِ بين المترلتين " . وانشَقَّ عن شيخه – الحسن – وصار في ناحيةِ المسجد ، واجتمعَ عليه قومٌ من أوباشِ الناس وأخذوا بقوله .

وهكذا دعاةُ الضلالِ في كلِّ وقتٍ ، لا بدَّ أن ينحازَ إليهم كثيرٌ من الناس ، هذه حِكمةٌ من الله .

تركوا مجلسَ الحسنِ ، شيخِ أهلِ السنّةِ ، الذي مجلسُه مجلسُ الخيرِ ، ومجلسُ العلمِ ، وانحازوا إلى مجلسِ " المعتزلي : واصلِ بنِ عطاء " الضالِ المضِلِ .

ولهم أشباهٌ في زماننا ، يتركونَ علماءَ أهلِ السنّة والجماعةِ ، وينحازونَ إلى أصحابِ الفكر المنحرف (١) .

---

(١) فتجدهم يقتنون أشرطتهم ، وكتبهم ، ويحرصون عليها ، وإذا قلت لهم : إن في هذه الكتب ما يخالف معتقد أهل السنة والجماعة ، السلف الصالح ، من قول بخلق القرآن ، أو من تأويل للصفات ، أو من تحريض على أولياء الأمور ، أو غيره . قالوا : " هذه أخطاءٌ بسيطةٌ ، لا تمنعُ من قراءتها واستماعها " ، مع أن في كتب علمائنا – سلفًا وخلفًا – الغنية عنها وهكذا يضللون كل من سمعهم : (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) (النحل) . ألم يعلموا أن من سلفنا الصالح من هجر =

ومن ذلك الوقت سُمُّوا " بالمعتزلة " ، لأنهم اعتزلوا أهلَ السنّة والجماعة ؛ فصاروا ينفونَ الصفات عن الله – سبحانه وتعالى – ويثبتون له أسماءً مجرَّدة ، ويحكُمون على مرتكبِ الكبيرة بما حَكَمَتْ به " الخوارجُ " : (أنه مخلَّدٌ في النار) ، لكن اختلفوا عن " الخوارج " في الدنيا ، وقالوا : (إنه يكون بالمنزلة بين المنزلتين ، ليس بمؤمن ولا كافر) .

بينما " الخوارجُ " يقولون : (كافر) .

يا سبحانَ الله ! هل يُعقَلُ أنَّ الإنسانَ لا يكونُ مؤمنًا ولا كافرًا ؟ !

والله – تعالى – يقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ (1) .

ما قال : ومنكم من هو بالمنزلة بين المنزلتين . لكن هل هؤلاء يفقهون ؟!

ثمَّ تَفَرَّعَ عن " مذهبِ المعتزلةِ " " مذهبُ الأشاعرة " .

و " الأشاعرة " : يُنسبونَ إلى " أبي الحسن الأشعري " – رحمه الله – .

وكان أبو الحسن الأشعري معتزليًا ، ثم مَنَّ الله عليه ، وعرفَ بطلانَ مذهب المعتزلة ، فوقف في المسجد يومَ الجمعة وأعلنَ براءَتَهُ من مذهبِ المعتزلة ، وخلعَ ثوبًا عليه وقال : (خلعتُ مذهبَ المعتزلةِ ، كما خلعتُ ثوبي هذا) . لكنَّه صار إلى " مذهبِ الكُلاَّبِيَّة " : أتباعِ " عبدِ الله بن سعيد بن كُلاب " .

و " عبدُ الله بنُ سعيد بن كُلاب " : كان يُثبتُ سبعَ صفاتٍ ، وينفي ما عداها ، يقول : (لأنَّ العقلَ لا يدُلُّ إلا على سبعِ صفاتٍ فقط : " العلمُ " ، " والقدرةُ " ،

من قال ببدعةٍ واحدة ، أو أوَّلَ صفةً واحدةً فقط ؟ فهذا عبدُ الوهاب بنُ عبدِ الحكم الوراق ، وهو من أصحاب أحمد – رحمهم الله – يسأل عن أبي ثور فقال : ما أدين فيه إلا بقول أحمد بن حنبل : " يُهجرُ أبو ثور ، ومَن قال بقوله " . وذلك لأنه أول حديث الصورة ، وخالف قول السلف فيها . فكيف بمن لا تجمع أخطاءه ولا تحصيها إلا الكتبُ ؟ ؟ ! ومع ذلك تسمعُ بعضَهم يقولُ : أخطاءٌ بسيطة لا تمنعُ من قراءتها ! ! .

فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(1) سورة التغابن آية : ٢ .

" والإرادةُ " ، " والحياةُ " ، " والسمعُ " ، " والبصرُ " ، " والكلامُ ") يقول : (هذه دَلَّ عليها العقل ، أما ما لم يدلّ عليه العقل – عنده – فليس بثابتٍ) .

ثم إنَّ الله مَنَّ على " أبي الحسن الأشعري " ، وتركَ " مذهب الكُلابيَّةِ " ، ورجعَ إلى مذهبِ الإمام أحمد بن حنبل ، وقال : (أنا أقولُ بما يقولُ به إمامُ أهلِ السنَّة والجماعة أحمد بن حنبل : إنَّ الله استوى على العرش ، وإنَّ له يدًا ، وإنَّ له وجهًا) . ذَكَرَ هذا في كتابه : " الإبانة عن أصول الديانة " ، وذَكَرَ هذا في كتابه الثاني : " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " ذَكَرَ (أنَّه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل) . وإن بَقِيَتْ عندَهُ بعضُ المخالفات .

ولكنَّ أتباعَهُ بقوا على " مذهب الكُلابية " ؛ فغالبُهم لا يزالون على مذهبه الأول ، ولذلك يُسَمّون " بالأشعرية " : نسبةً إلى الأشعري في مذهبه الأول .

أما بعدَ أن رجعَ إلى مذهبِ أهلِ السنّة والجماعة ؛ فنسبةُ هذا المذهب إليه ظلمٌ ، والصوابُ أن يُقال : " مذهبُ الكُلابيَّة " ، لا مذهب أبي الحسن الأشعري – رحمه الله – لأنه تابَ من هذا ، وصنَّفَ في ذلك كتابه : " الإبانة عن أصول الديانة " ، وصَرَّح برجوعه ، وتمسُّكِه بما كان عليه أهلُ السنّة والجماعة – خصوصًا الإمام : أحمد بن حنبل رحمه الله – وإن كانت عندَه بعضُ المخالفات ، مثلُ قولِه في الكلام : (إنَّه المعنى النفسي القائم بالذات ، والقرآن حكاية – أو عبارة – عن كلام الله ، لا أنَّه كلامُ الله) .

هذا " مذهبُ الأشاعرة " ، منشَقٌّ عن " مذهبِ المعتزلةِ " .

" ومذهبُ المعتزلةِ " منشَقٌّ عن " مذهبِ الجهمية " .

ثُمَّ تفرَّعت مذاهبُ كثيرةٌ ، كلُّها أصلُها " مذهبُ الجهمية " .

هذه – تقريبًا – أصول الفِرَقِ (١) على الترتيب .

(١) قال ابن أبي رندقة الطرطوشي في كتابه " كتاب الحوادث والبدع " ص : ١٤ : (اعلم أن علماءنا – رضي الله عنهم – قالوا : أصول البدع أربعة ، وسائر الأصناف الاثنتين وسبعين فرقة من هؤلاء تفرقوا وتشعبوا ، وهم : =

أولاً : " القدريةُ " .

ثُمَّ : " الشيعةُ " .

ثُمَّ : " الخوارجُ " .

ثُمَّ : " الجهمية " .

هذه أصول الفِرَق .

" الخوارج " وهي أول فرقة خرجت على علي بن أبي طالب " والروافض " ، " والقدرية " ، " والمرجئة ") .

انتشار الفرق وتنوعها ومخالفة أهل السنة والجماعة لهم

وتفرَّقت بعدها فِرَقٌ كثيرةٌ لا يحصيها إلا الله ، وصُنِّفتْ في هذا كتبٌ ، منها :

١ – كتاب : " الفَرْق بين الفِرَق " للبغدادي .

٢ – كتاب : " المِلل والنِّحَل " لمحمّد بن عبد الكريم الشهرستاني .

٣ – كتاب : " الفِصَل في المِلل والنِّحَل " لابن حزم .

٤ – كتاب : " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " لأبي الحسن الأشعري .

كُلُّ هذه الكتب في بيان الفِرَقِ ، وتنوّعِها ، وتعدادِها ، واختلافِها ، وتطوراتِها .

ولا تزالُ إلى عصرنا هذا تتطوّر ، وتزيدُ ، وينشأُ عنها مذاهبُ أخرى ، وتنشَقُّ عنها أفكارٌ جديدةٌ منبثقةٌ عن أصلِ الفكرة ، ولم يبقَ على الحقِّ إلا أهلُ السنّة والجماعة ، في كُلِّ زمانٍ ومكان هم على الحق إلى أن تقومَ الساعةُ ، كما قال ﷺ ﴿ لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرُّهم من خذَلهم حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك ﴾ [(١)] [(٢)] .

أهلُ السنّة والجماعة – والحمدُ لله – يخالفون " القدرية النفاة " :

فيؤمنون بالقدر ، وأنَّه من أركان الإيمان الستة ، وأنه لا يحصُلُ في هذا الكونِ شيءٌ إلا بقضائه وقدره – سبحانه وتعالى – لأنَّه الخلاّق ، الربُّ ، المالِكُ ، المتصرفُ : ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ [(٣)] .

لا أحدَ يتصرَّفُ في هذا الكونِ إلا بمشيئتِه – سبحانه – وإرادتِه ، وقدرتِه ، وتقديره .

عَلِمَ الله ما كان ، وما سيكون في الأزَلِ ، ثم كتبه في اللوحِ المحفوظِ ، ثم شاءَه وأوجدَه وخلقَه – سبحانه وتعالى – .

---

(١) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

(٢) سبق تخريجه ص : (٢١) .

(٣) سورة الزمر الآيتان : ٦٢ ، ٦٣ .

وأنَّ للعبد مشيئةً ، وكسبًا ، واختيارًا ، لا أنَّه مسلوبُ الإرادَةِ ، مُجْبَرٌ على أفعالهِ – كما تقول " الجبرية الغُلاة " – فهم يخالفونهم .

ومذهبُهم في صحابة رسولِ الله ﷺ أنَّهم يوالونَهم كلَّهم ، أهلَ البيت وغيرَ أهل البيت ، يوالون الصحابة كلهم ، المهاجرين ، والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، ويمتثلونَ بذلك قولَهُ – تعالى – : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (1) .

فهم يخالفون " الشيعة " لأنَّهم يفرِّقون بينَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ فيوالون بعضهم ، ويعادون بعضهم . فأهلُ السنّة يوالونهم جميعًا ، ويحبونهم جميعًا ، والصحابةُ يتفاضلون ، وأفضلُهم : الخلفاءُ الراشدون ، ثم بقيّة العشرة ، ثم المهاجرون أفضلُ من الأنصارِ ، وأصحابُ بدرٍ لهم فضيلةٌ ، وأصحابُ بيعةِ الرضوانِ لهم فضيلةٌ ، فلهم فضائلُ – رضي الله عنهم – .

ويعتقدون : السمعَ والطاعةَ – خلافًا " للخوارجِ " – فهم يعتقدون السمعَ والطاعةَ لولاةِ أمورِ المسلمين ، ولا يرونَ الخروجَ على إمامِ المسلمين ، وإنْ حصَلَ منه خطأ ، ما دامَ هذا الخطأُ دون الكفر ، ودون الشرك ، حيث نهى ﷺ عن الخروجِ عليهم لمجرَّدِ المعاصي ، وقال : ﴿ إلا أن تروا كفرًا بواحًا ، عندَكم فيه من الله برهان ﴾ (2) (3)

(1) سورة الحشر آية : ١٠ .

(2) البخاري الفتن (٦٦٤٧) .

(3) جزءٌ من حديثِ عبادة بن الصامت ، ولفظه : " دعانا رسول الله فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا ، أن بايعنا على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأَثَرَةٍ علينا ، وأن لا نُنَازع الأمر أهله – قال : – إلا أن تروا كفرًا بواحًا ، عندكم من الله فيه برهان " . رواه البخاري : (٧٠٥٦) ، ومسلم : (١٤٧٠/٣) (٤٢) .

الأسئلة

وسئل الشيخُ – حفظه الله – بعد المحاضرةِ عدَّةَ أسئلة ، منها :

السؤال الأول : أسباب الغلو في الدين

لقد نَهَى الله ورسوله ﷺ عن الغُلو في الدين ؛ فهل سببُ انحرافِ الفِرَقِ عن أهلِ السنّةِ والجماعةِ الغُلو ؟ وما أمثلةُ ذلك من الفِرَق ؟

الجواب :

" الخوارجُ " ظاهرٌ أن سببَ انحرافِهم الغُلو في الدين ؛ لأنَّهم تشدَّدُوا في العبادةِ على غيرِ هُدى وبصيرة ، وأطلقوا على الناسِ الكُفْرَ عن غيرِ بصيرة ؛ لأنَّهم يخالفونهم في مذهبهم .

فلا شك أن الغلو في الدين هو أساس البلاء ، قال – تعالى – :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [(١)] .

قال ﷺ " ﴿ إياكم والغلو ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ﴾ [(٢)] [(٣)] .

والغلو في كل شيء هو : الزيادة عن الحد المطلوب (وكل شيء تجاوز حده انقلب إلى ضده) .

ونجد أن " المعطلة للصفات " سبب انحرافهم الغلو في التنزيه ، وسبب انحراف " الممثلة والمشبهة " غلوهم في الإثبات .

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٧ .

(٢) سنن النسائي كتاب مناسك الحج (٣٠٥٧) ، سنن ابن ماجه كتاب المناسك (٣٠٢٩) ، مسند أحمد (١/٣٤٧) .

(٣) أخرجه أحمد : (١/٢١٥ ، ٣٤٧) ، والنسائي : (٥/٢٦٨ – ٢٦٩) ، وابن ماجه : (٣٠٢٩) ، وابن أبي عاصم : (٩٨) ، وابن خزيمة : (٤/٢٧٤) ، وابن الجارود في " المنتقى " : (٤٧٣) ، وابن حبان : (١٠١١) ، والطبراني في " الكبير " : (١٢٧٤٧) ، والحاكم : (١/٤٦٦) ، والبيهقي : (٥/١٢٧) ، وأبو يعلى الموصلي : (٤/٣١٦ ، ٣٥٧) من حديث ابن عباس .

فالغلو بلاء ، والوسط والاعتدال هو الخير في كل الأمور .

فلا شك أن للغلو دورًا في ضلال الفرق عن الحق ، كل غلوه بحسبه .

السؤال الثاني : افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة

فضيلة الشيخ : يقول الرسول ﷺ ﴿ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ﴾ (١) (٢)

فهل العدد محصور أو لا ؟

الجواب :

ليس هذا من باب الحصر ؛ لأن الفرق كثيرة جدًا ، إذا طالعتم في كتب الفرق وجدتم أنهم فرق كثيرة ، لكن – والله أعلم – أن هذه الثلاث والسبعين هي أصول الفرق ، ثم تشعبت منها فرق كثيرة .

وما الجماعات المعاصرة الآن ، المخالفة لجماعة أهل السنة ، إلا امتداد لهذه الفرق ، وفروع عنها .

السؤال الثالث : الفرق الناجية والطائفة المنصورة

هل هناك فرق بين " الفرق الناجية " " والطائفة المنصورة " ؟

الجواب :

أبدًا ، " الفرقة الناجية " هي " المنصورة " . لا تكونُ " ناحيةً " إلا إذا كانت " منصورةً " ، ولا تكون " منصورةً " إلا إذا كانتْ " ناحيةً " ، هذه أوصافُهم : " أهلُ السنةِ والجماعة " ، " الفرقة الناحية " ، " الطائفة المنصورة " .

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤٠) ، أبو داود السنة (٤٥٩٦) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٩١) ، أحمد (٢/٣٣٢) .

(٢) سبق تخريجه ص : (١٤) .

ومن أراد أن يفرق بين هذه الصفات ، ويجعل هذه لبعضهم وهذه لبعضهم الآخر ؛ فهو يريد أن يفرق أهل السنة والجماعة ، فيجعل بعضهم فرقة ناجية ، وبعضهم طائفة منصورة .

وهذا خطأ ؛ لأنهم جماعة واحدة ، تجتمع فيها كل صفات الكمال والمدح ، فهم " أهل السنة والجماعة " ، وهم " الفرقة الناجية " ، وهم " الطائفة المنصورة " ، وهم " الباقون على الحق إلى قيام الساعة " ، وهم " الغرباء في آخر الزمان " .

وكذلك هم يخالفون " الجهمية " ومشتقاتهم في أسماء الله وصفاته : فيؤمنونَ بما وصفَ الله به نفسَهُ ، وما وصَفَهُ به رسولُه ﷺ ويتّبعون في ذلك الكتابَ والسنَّة ، من غير تشبيهٍ ولا تمثيل ، من غير تحريفٍ ولا تعطيل ، على حَدِّ قوله – سبحانه وتعالى – : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١) .

فمذهبُ أهلِ السنّةِ والجماعةِ – ولله الحمدِ – جامعٌ للحقِّ كُلِّه ، في جميعِ الأبوابِ ، وفي جميعِ المسائل ، ومخالفٌ لكُلِّ ما عليه الفِرَقُ الضالةُ والنِّحَلُ الباطلة .

فمن أراد النجاةَ فهذا مذهبُ أهلِ السنّةِ والجماعة .

وأهلُ السنّةِ والجماعةِ في بابِ العبادةِ : يعبدونَ الله على مقتضَى ما جاءَتْ به الشريعةُ ، خلافًا " للصوفيةِ " " والمبتدعةِ " " والخرافيين " ، الذين لا يتقيَّدونَ في عبادتِهم بالكتابِ والسنّةِ ، بل يتبعون في ذلك ما رَسَمَهُ لهم شيوخُ الطُرقِ ، وأئمةُ الضلال .

نسألُ الله أنْ يجعلني وإياكم من أهلِ السنّةِ والجماعةِ ؛ بمَنِّهِ وكرَمِهِ ، وأن يرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعَهُ ، وأنْ يرينا الباطلَ باطلاً ويرزقَنا اجتنابَهُ . إنه سميعٌ مجيب .

هذا ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

---

(١) سورة الشورى آية : ١١ .

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
* صحيح البخاري
* صحيح مسلم
* سنن النسائي
* سنن أبي داود
* سنن الترمذي
* سنن ابن ماجه
* مسند الإمام أحمد
* سنن الدارمي
* موطأ مالك
* مستدرك الحاكم
* صحيح ابن حبان
* صحيح ابن خزيمة
* سنن البيهقي
* سنن الدارقطني
* مصنف عبد الرزاق
* مسند أبي عوانة
* مسند أبي يعلى
* مصنف ابن أبي شيبة
* المعجم الكبير للطبراني
* كتاب الشريعة للآجري

* كتاب السنة لابن أبي عاصم

* الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري

* شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي

* شرح السنة للبغوي

* تفسير البغوي

* السنة لمحمد بن نصر المروزي

* مشكل الآثار للطحاوي

* تفسير ابن كثير

* فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني

* نونية ابن القيم

فهرس الآيات

أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ١٥
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ١٨
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ٣٤
إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى ٥
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك ٢٢
اهدنا الصراط المستقيم ١١
أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات ٢٩
بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ١٣
صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ١٢
فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا ٣٨
فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق ٢٧
قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ٢٨
قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم ٣٦
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ٣١
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم ١١
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ ٤
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا ٣٥
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ١٠
والعصر ١٨
وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو ١٥
وإن من شيعته لإبراهيم ٢٦
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك ٥

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين.................................. ١٥

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ١٢

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين......................... ١٠

يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم............................ ٢٢

فهرس الأحاديث

إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم فيه من الله برهان ٣٥
الذين يصلحون إذا فسد الناس ١٨
إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين............ ٨
أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش................. ٢٢
أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد؛ فإنه من يعش.............. ٤
إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ٣٦
ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ٣٧
فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي.......................... ١٧
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ١٦
كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، ٢
كلها في النار إلا واحدة ٩
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي ١٤, ٣٤
لو كان موسى حيا بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعني.. ١١
من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ١٢
من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ٩
هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم................ ٣
يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ٢٤
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.. ٢٣

الفهرس

المقدمة ٢
أهمية الحديث عن الفرق ٢
ذم التفرق في الكتاب والسنة ومدح الاجتماع ٦
شروط قبول العمل ١٣
بيان أن العبرة بالموافقة للحق وليست بالكثرة ١٥
ذكر أصول الفرق ١٩
الفرقة الأولى القدرية ١٩
الفرقة الثانية الخوارج ٢١
الفرقة الثالثة : الشيعة ٢٦
الفرقة الرابعة : الجهمية ٢٨
انتشار الفرق وتنوعها ومخالفة أهل السنة والجماعة لهم ٣٤
الأسئلة ٣٦
السؤال الأول : أسباب الغلو في الدين ٣٦
السؤال الثاني : افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ٣٧
السؤال الثالث : الفرق الناجية والطائفة المنصورة ٣٧
قائمة المصادر والمراجع ٣٩
فهرس الآيات ٤١
فهرس الأحاديث ٤٣
الفهرس ٤٤